دعوة الكنيسة للحوار والرد الإسلامي عليها

أ. نعيمة إدريس
جامعة منتوري – قسنطينة

تمهيد

لطالما وصف عصرنا بالمادية ووصفت الحضارة الغربية السائدة بالانحلال والتخلف الأخلاقي بسبب رفضها للقيم الأخلاقية والدينية وتركيزها على تقوية الإنسان علميا وماديا فقط. وكان من إفرازات هذا التوجه بروز تيارات ومذاهب فكرية فلسفية واجتماعية سياسية معادية للدين خاصة في المجتمع الغربي منتج هاته الحضارة. لكن في العقود الأخيرة وبالموازاة وجدت تيارات مضادة للإلحاد وللشيوعية والحداثة والعلمانية ... تيارات تهتم بالدين بل بعضها يحاول إدماجه في مختلف مجالات الحياة وإعادة الاعتبار لقيمه السامية.

وهكذا بدأت الدراسات الدينية في الغرب تستعيد حيويتها وتأخذ مكانتها المستحقة ضمن منظومة المعارف الإنسانية بعد غياب وتهميش طويلين. وفي العالم الإسلامي نشهد نفس التوتر والصراع — وإن لم يكن بنفس الحدة والتوسع — بين أنصار الإسلام المتمسكين بقيمه، وبين من رأوا في قيم الحضارة الغربية الحل لأزمة التخلف التي تعانيها المجتمعات الإسلامية.

فالظاهرة الدينية أو الفعل الديني عاد ليجلب الاهتمام والدراسات ويكون في مقدمة الأحداث العديد من المرات، لكن الاهتمام والدراسة لم يعودا حكرا على المشتغل بالدين، وإنما دراسة الأديان أصبحت فروعا عديدة وبمناهج متنوعة تدخل ضمن الدراسات الدينية "اللاهوتية" والإنسانية عموما. من ذلك المؤرخ في إثبات ما صح من أحداث وإبعاد الوهمي منها، وعالم الاجتماع بتحليله لظاهرة التدين وتطورها عند الإنسان وفي مختلف المجتمعات، والفيلسوف بنظرته النقدية المحللة لكشف ما وراء الأحداث المشاهدة ... أي الدراسة على هذا المستوى لم تـــعد

تخص عالم الدين أو رجل اللآهوت فقط وبالتالي الاقتصار على الجامعات الدينية فقط، وإنما تعدت فروعا معرفية عديدة، وهذا عاد بالنفع فعلا.

ومن الآثار الإيجابية ترسيخ ما يعرف بـــ"الحوار بين الأديان" خاصة الحوار الجاري بين المسيحية والإسلام، حوار يسطر أهدافا عديدة يقف على رأسها إعادة الاعتبار لقيمة الإيمان بالله والشرائع السماوية والأخلاق وبعث الإخاء والتسامح بين المؤمنين، بترك الجدال العقيم والأحقاد الماضية حتى يقوم المؤمن بواجبه في حضارة اليوم ويتحمل مسؤوليته إزاء ما يحدث، حوار تحيط به عوائق عدة ومع ذلك لم يستسلم لها وهو يتواصل، من خلال مجهودات العديد من المؤمنين من العالمين المسيحي والإسلامي. والجزائر في الآونة الأخيرة بدأت تأخذ دورها للمساهمة في هذا الحوار كبلد مسلم لكنه لا يرفض الحوار الديني والحضاري العالمي، من ذلك كان عقد الملتقى الدولي حول الفيلسوف والقديس الجزائري أوغسطين 2001 تحت رعاية رئاسة الجمهورية ومن تنظيم المجلس الإسلامي الأعلى والذي يعد دفعة قوية للحوار الديني وهاهو الملتقى الذي تنظمه الجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر يدخل في نفس السياق ويعد استجابة إيجابية ومساهمة فعالة للدعوة إلى الحوار الديني.

إن مساهمتنا في هذا الملتقى تحاول معرفة الردود الإسلامية بمواقفها الفكرية والدينية من مسألة الحوار سواء المؤيدة له أو الرافضة ومعرفة أسباب ذلك وقبل ذلك يجدر بنا الوقوف على وضعية الحوار وبداية انطلاقه ثم ردود الأفعال التي أثارها.

أولا: وضعية الحوار الجاري بين المسيحية والإسلام.

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين ظاهرة دينية أصطلح عليها بـــ "الحور بين الأديان" دون إقصاء لأي ديانة، لكن يقف على رأس هذا الحوار

الإسلام والمسيحية باعتبارهما ديانتين سماويتين من جهة والأكثر انتشارا من جهة أخرى. وفعلا تأكد وجود هذا الحوار بينهما والذي انطلق بصورة محتشمة وحذرة، لكنه أخذ يتوسع عموديا عبر مجموعة من اللقاءات والندوات والملتقيات...التي مهد لها بتحضيرات مكثفة، وذلك لتهيئة أرضية ملائمة لانطلاق الحوار بين الطرفين، والذي يجب تأكيده مبدئيا أن هذا الحوار الجاري، كان بمبادرة مسيحية رسمية كدعوة للطرف الإسلامي من أجل نبذ خلافات وأحقاد الماضي والدخول في حوار فكري ديني أصيل وجدي، على أعلى مستوى أكاديميا خاصة ثم محاولة إعطائه امتدادا أفقيا في المستقبل، ليشمل الشريحة الأكبر من المؤمنين المسيحيين والمسلمين على حد سواء.

إذن الحوار أصبح واقعا فعليا ـــ وليس مجرد مشروع ـــ واقعا له موضوعاته وأسسه ومناهجه وأهدافه التي يطمح لتحقيقها، بل الحوار بين الأديان أصبح فرعا تعليميا يدرس في بعض الجامعات الغربية كتخصص داخل مقارنة الأديان، وهذا له أكثر من دلالة على أهمية هذا التوجه، ومن ثم فإن الحوار المسيحي الإسلامي يعد حقيقة واقعية على الأقل بالنسبة للمجندين له، والمؤمنين به كمنهج أجدى وأنفع من الصراع والتصادم وذلك لتحقيق التواصل بين الأديان والشعوب ونشر الإيمان بالله والقيم الخلقية التي تعد أهدافا مشتركة بين كل الديانات.

لكن المشكلة لا تكمن في وجود أو تحقق هذا الحوار، وإنما قبل ذلك في ضوابط هذا الحوار وآلياته بدءا واستمرارا وتوقفا ومراعاة أسباب ذلك، فالحوار أفرز موقفا جدليا جديدا يختلف عن الجدل الكلاسيكي بين المسيحية والإسلام، لكن متصل به، فهناك الرافض للحوار أصلا والمشكك في نوايا الداعين له، وهناك من يقبله لكن بشروط لا تتفق وشروط الآخر، وهكذا تباينت الآراء واختلفت المواقف حول موضوع الحوار الديني.

لكن المهم في هذه الأحداث والتطورات، أنه لأول مرة تخرج الكنيسة عن صمتها وتتحدث رسميا وبصورة إيجابية عن الإسلام الأمر الذي يعد حدثا تاريخيا، حيث ناقش المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965) مشكلة علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية بما فيها الإسلام طبعا، ويعلق أحد المسيحيين على هذا الحدث بقوله: «فللمرة الأولى منذ أربعة عشرة قرنا من وجود المسيحية والإسلام، يتحدث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابية عن المسلمين معترفا بوضعهم الديني المتميز ولهذا شبهت المطبوعات الكاثولكية التغيير الحاصل في موقف الكنيسة بـــ"الانقلاب الكوبرنيكي" وهو تعبير غير مبالغ فيه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن رسالة البابا بيوس الثاني عشرeideidonum الصادرة في أواخر الخمسينات (1957) رأت انتشار الإسلام في إفريقا خطرا على الكنيسة»[1].

وفعلا إنه لتغير حقيقي في منهج التعامل الكنسي حتى لا نقول انقلابا خاصة وأنه صدر عن أعلى هيئة عن الديانة المسيحية، ويمكن عد هذا التصريح بالإيجابي فعلا، لأن التغيير الذي حدث في الموقف الكنسي لم يكن تغييرا شكليا وإنما تغييرا على المستوى العقدي، مثال ذلك المادة 16 الواردة في الدستور العقائدي للكنيسة والتي تقول: «لأن الخلاص سيشمل أولئك الذين يعترفون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يعتقدون، أنهم يتبعون ملة إبراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد،الحي القيوم الرحيم الذي سيحاسب الناس يوم الدين...أولئك ليس بذنبهم لا يعرفون إنجيل

---

(1) أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ت خلف محمد الجراد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1966 صص137- 138.

المسيح وكنيسته، لكنهم يبحثون بإخلاص عن الرب وبتأثير النبل والخير...فالإرادة الإلهية لا ترفض منح المساعدة لأجل الخلاص لأولئك»[2].

ودون الخوض في التعليقات والمآخذ حول مضمون هذه المادة، التي تتوقع من طرف أي قارئ مسلم، إلا أن هذا الموقف في حد ذاته يشكل خطوة إيجابية فعقيدة الخلاص التي كانت حكرا على المسيحيين فقط، أصبحت أوسع بحيث يمكن أن تشمل المسلم أيضا؟ موقف كهذا قمة في التطور والإيجابية مقارنة بالمواقف النقدية السابقة للمسيحية نحو الإسلام، لكن بما أن هاته الدعوة للحوار كانت مسيحية فإن الرد كان ويكون إسلاميا، وفعلا فقد كانت مناسبة لفتح الحديث عن الإسلام وموقفه من الحوار، باعتباره دينا له تصوراته وأحكامه تجاه الحوار كفكرة أولا، ثم كأسلوب عملي ثانيا، إلى جانب موقف المسلمين منه وبالتالي من دعوة الحوار وذلك بتلبيتها أو رفضها. وعموما هذه الدعوة أثارت ردود أفعال عديدة وقبل التعرف عليها يجدر بنا أولا الوقوف على موقف الإسلام من الحوار في حد ذاته.

أ- الإسلام والحوار:

بلغة الأرقام فإن كلمة جدل وردت سبع وعشرين مرة في القرآن الكريم، مقارنة بكلمة الحوار التي وردت ثلاث مرات فقط وتحديدا:

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [1].

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2].

---

[2] المادة 16 من بنود الدستور العقائدي للكنيسة lumen gentium نقلا عن المرجع السابق ص 141.

[1] الكهف 18 / 34 .

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3].

فهل يستنتج من النسبة القليلة لورود كلمة حوار في القرآن الكريم، رفض الإسلام له وميله أو تفضيله للجدل مثلا؟

لا ينبغي التسرع في إصدار أي حكم، لأن حتى الموقف الجدلي الذي ارتبط بتحديات الفترة الأولى للإسلام خاصة، يمكن عده موقفا حواريا يهدف للتعايش والتفاهم، وليس صداما في جميع أحواله مادام هناك جدال بالحكمة والموعظة الحسنة كما يقره الأمر الإلهي **﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**، غير أن كلمة جدل تشكل لها تصور في أذهان العامة خاصة، يرتبط بمفهومي الصدام والصراع وهذا لا يعكس المفهوم الشامل لكلمة جدل من جهة، ويؤدي إلى تفضيل كلمة حوار من جهة أخرى، ثم إن مواقف السيرة النبوية الشريفة تؤكد تطبيق الحوار (استقبال وفد نجران) وبالتالي من غير اللائق الاقتصار على ذكر مواقف الصدام والسيطرة (أهل الذمة ودفع الجزية) عند إصدار حكم على الإسلام وموقفه من الحوار واتهامه بالتعصب...

إن الإسلام دين الحوار وهو أهل لذلك، لأنه ببساطة يحترم العقل ويؤكد على الاجتهاد. فالقرآن نفسه مارس هذا الحوار كما أكدته منهجيته الاستدلالية التي ما كانت تؤكد أو تبطل فكرة إلا على أساس من العقل والقناعة الذاتية، دون أن ننسى رفض الإسلام للجدال المفرغ والمشوش، القائم على الأساليب الملتوية والذي يهدف إلى إثارة الفتنة.

---

(2) الكهف 18 / 36.

(3) المجادلة 58 / 1.

إن الاستعداد للحوار موجود في قلب الإسلام، وأحسن دليل انفتاح العقلية الإسلامية على كل الثقافات والحضارات، واستعابها وتكييفها بحيث تصبح منسجمة مع الروح الإسلامية، هذا أكبر دليل على إيجابية الإسلام كدين نحو الحوار أما فيما يخص بعض الممارسات الميدانية من قبل بعض المسلمين والتي ترفض الحوار أو تحبذ العنف أو التعصب فهذا أمر آخر.

إن الإسلام يقر بمبدإ الحوار فكرا وعملا بل إنه بدأ «حركته من موقع الحوار في اتجاهين: يرتبط أحدهما بحركة الدعوة في أفكار المعاندين لها، ويرتبط الاتجاه الآخر بحركة الدعوة في الحياة، من حيث إفساحها المجال للطريقة العقلية في التفكير لتأخذ طريقها إلى الجانب الفكري في الحياة»[1]، أي هو حوار على المستوى النظري العقلي لينعكس هذا النظر على المستوى العملي السلوكي.

كذلك الحوار في الإسلام، حوار داخلي مع الذات وحوار خارجي مع الآخر للتعريف بالذات الإسلامية ثم الدعوة لها، وهو حوار أساسه الأول والأخير الحجة، قال تعالى: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[2]، **﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾**[1].

أي أنه منذ البداية: «اعتمد الإسلام مبدأ الحوار ودعا إلى ذلك الخطاب القرآني انطلاقا من نقاط الالتقاء في محاولة لاستعاب الخلاف العقائدى...(قل يا أهل

---

(1) محمد حسين فضل الله الحوار في القرآن، دار المنصوري للنشر، الجزائر، ج 1، ص 29.

(2) الأنعام 6 /150.

(1) النساء 164/4.

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء...) فتبني الإسلام للحوار كان تبنيا حقيقيا، وقد مارسه الإسلام منذ فجر الرسالة»[2].

رسالة حمل لواءها الرسول ﷺ وأتباعه إلى يومنا هذا رسالة لم تتخذ العاطفة وإثارة الأحاسيس لاستمالة أحد أو جلب مودته ولا من القوة وسيلة لذلك، إنما رسالة تفرض نفسها عبر منهج القناعة الذاتية.

ب – الإسلام والحوار الحضاري:

هو منهج مُورِس في الإنتاج الحضاري للأمة الإسلامية وطبع صيغها الفكرية، خاصة في فترات ازدهارها وانفتاحها، ويمكن عد الانفتاح والتعامل مع الآخر قانونا أو مبدأ أساسيا لأي إنتاج حضاري إنساني ذو أبعاد عالمية. «حيث تنفتح الحضارة وتطلع على مبانيه الفكرية ومبادئه العقيدية فيتم التفاعل بين الثقافتين ليكتسب كل منهما من الآخر، بقدر قوة تأثير الأول وتقبل الثاني وهذا مارسته الحضارة الإسلامية حينما انفتحت على ثقافات الحضارات»[3]، وطبعا يستحيل أن يتوفر أي انفتاح وتقبل من وإلى الإسلام دون المرور بعملية الحوار أولا، لأن هذا الأخير هو المحرك الفاعل في حركة التبادل الحضاري والذي يفقد حيويته ويتسم بالجمود والتخلف كلما نهج الانغلاق والتعصب الفكري لهذا «تبنى الإسلام مبدأ الانفتاح ضمن إستراتيجية في العمل الرسالي وبعد أن ثقف معتنقيه على تبني منهج الحوار من خلال صياغات عقيدية ومقولات قيمية في إطار المبادئ الإسلامية ساهمت في إعادة تشكيل عقل الفرد المسلم فأنتجت عقلا ليس من خصائصه التشنج في دائرة

---

(2) ماجد الغرباوي:حوار الحضارات والواقع والأهداف، مجلة التوحيد،عدد86،السنة 15 ،شباط 1997، مؤسسة الفكر الإسلامي ومؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، ايران، ص 7.

(3) المرجع نفسه، ص 5.

الذات والتنقل في حدود الأنا»[4]. هذا الانفتاح يجب أن يشمل كل أنواع الإنتاج الفكري والثقافي والنشاط البشري عموما ولا يجب أن يقتصر على أحدها دون الآخر، لكنه يصبح بمكان الضرورة عندما يتعلق بمسألة الدين، لأن كل ثقافة أو حضارة تتطبع بالدين الصادرة عنه، وما سجله القرآن في هذا المقام عظيم لا يحتمل تأويلا ولا يعرف مجازا، فالقرآن بقوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قد أثبت للبشرية الحرية الدينية وأن الإيمان قضية باطنية لابد أن يكون عن اختيار مبني على الإدراك وهذا هو أساس الحوار الديني مع المسيحية وغيرها، وهنا نصل للب الموضوع.

ج- الإسلام والحوار الديني:

للإسلام موقف معروف من الأديان وخاصة السماوية منها، إنه موقف الوحدة لا الاختلاف، فالمنبع واحد وجميعها على صلة بسيدنا إبراهيم عليه السلام، فمن الطبيعي أن يحاور الإسلام هاته الأديان باعتبارها جزءا منه انحرف وشذ ومن المفروض أن يعود هذا الجزء إلى جادة الصواب، عن طريق الحوار لا العنف.

«فالتسامح الإسلامي اتجاه أهل الكتاب ليس مجرد انعكاس لذهنية وطنية ولكنه يتجذر في العقيدة القرآنية وسنة الرسول، حيث عمل الإسلام منذ ظهوره على فتح مجال الحوار مع الكتابيين وبالأخص المسيحيين»[1]. وقد مورس هذا الحوار في العهد الأول من طرف المتكلمين من خلال ردودهم التي اعتمدت العقل وسيلة وليس السيف، وكذلك في العهود المتقدمة، «فقد كان العالم الإسلامي باستمرار مكانا للالتقاء والتبادل في إطار التسامح وحتى في أسوء الظروف التاريخية فإن الإمبراطورية الإسلامية لن تكف على أن تكون أرض استقبال وحتى أرض لجوء

---

[4] المرجع نفسه، ص ص 6-7.

[1] ALI Merad: Dialogue Islamo- Chrétien: pour la recherche d'un langage commun.Islamo-Christiana. T1 Rome 1975، p 4.

لأهل الكتاب. فعلى هامش الاصطدامات والحروب الصليبية (لتي نتصورها تلقائيا عبارة عن صراعات بلا رحمة) نجد أن متديني وفقهاء الطرفين كانوا يعملون على تحقيق لقاءات سلمية هادئة»[2] دون أن نتجاهل أو ننسى أن رجال الدين وعلى رأسهم البابا كانوا وراء الحروب الصليبية الدامية بل أصبغوا عليها صفة القداسة والنبل. وعموما فإن الحوار المسيحي الإسلامي المعاصر هو امتداد لحوار الماضي وإن كان بمعطيات ووسائل مختلفة، فنحن اليوم لسنا مضطرين لمناقشة المشكلات الكلامية المتوارثة، «بل الواجب أن نستلهم من تراث الكلاميين العقلي: منهجهم العلمي في البحث والتمحيص والتدقيق والدراسة والنقد والتحليل وحسن الاستنباط والتمييز، وتأكيدهم ضرورة أن يتعقل المسلم دينه ... وأن نلتزم الحيدة والموضوعية في البحث والمناقشة، وإيراد أراء الخصوم بلا تعصب يسد منافذ الحوار العقلاني المستنير، أو محاباة في الباطل تغتال الحقيقة وتشوه الأمور»[1].

هذا هو موقف الإسلام من الأديان السماوية لا ينكرها مصدق لها، مقر بانحرافها متسامح معها وبالتالي لا يرفض الحوار معها.

ثانيا:موقف المسلمين من دعوة الكنيسة للحوار:

عرفت هذه الدعوة ردود أفعال عديدة من طرف المسلمين:

ـــ يوجد من رفض ويرفض الحوار، باعتبار عدم الجدوى منه أو باعتباره خطرا تبشيريا.

ـــ طرف يقبل الحوار ضمن شروط معينة.

ـــ طرف يشجع العملية، ويعتبرها السبيل الوحيد للخروج بالإسلام من تحديات العصر وعموما نميز بين الرافضين والمشجعين له.

---

(2) Ibid، p4.

[1] عرفان عبد الحميد:منهج المتكلمين:دراسة وتقويم،مجلة إسلامية المعرفة، السنة 3عدد 8، 1997.ص 104-105.

أ ـ المسلمون الرافضون للحوار:

هو رفض يقوم على عدة مبررات – غير التعصب الديني – أهمها:

- إن الحوار مجرد أسلوب جديد مناور من أساليب الكنيسة، التي تهدف إلى ضرب الإسلام وتجميده.

- الحوار وجه آخر لتغطية ممارسات التبشير المسيحي داخل البلدان الإسلامية وفي هذا يقول أحد المسلمين: «إنني أعتقد أن هناك لونا جديدا من السياسة التبشيرية وتحطيم معالم الشخصية العربية الإسلامية لشعوب المغرب لا يقل خطرا عن سياسة التبشير القديمة، فهو يملك وسائل جديدة مقنعة ناجحة تمكنه من التأثير دون إثارة رد الفعل الذي حدث أيام الاستعمار ... وقد تعالت أصوات هنا وهناك تبدو في الظاهر أنها ارتفعت صدفة، ولكن تكمن وراءها سياسة جديدة تتبعها الكنيسة اليوم»[1]. ويفهم من هذا الكلام أن الحوار ليس حقيقيا وإنما مجرد أسلوب تمويهي.

- كذلك كيف يكون الحوار بين طرفين غير متكافئين في القوة والإعداد فهذا أدعى لرفض الدعوة، وفي هذا يقول د أحمد الشرباصي: «فيما يتعلق بالحوار لماذا يجب أن لا نحظر الحوار؟ لأن المنصرين يحسنون إعداد دعاتهم، إنهم يدرسون الإسلام قبل أن يدرسوا النصرانية، إنهم يطلعون على التفاسير المختلفة للقرآن قبل أن يتعرفوا إلى تفاسير الأناجيل، إنهم يعلمونهم كيف يتتبعون الشبهات ومواطن النقص ـــ كما يزعمون ـــ في الإسلام وفي التفسير أو القرآن أو في الحديث، ويملؤونهم ويسقونهم بهذه الثقافة المعادية الناقدة الجائرة. فإذا جاء مسيحي نصراني

---

(1) حبيب الجنحاني: حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ـــ تيزي وزو منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1973، مج 3، ص 1071.

ليتحاور مع شاب مسلم لم تكن قوة الحوار متكافئة بين الاثنين النصراني يعرف دينه ودين الإسلام ويعرف الشبهات التي يمكن أن يثيرها حول الإسلام والشاب المسلم خواء خال من كل شيء، فيثير أمامه اعتراضا لا يعرف الشاب المسلم جوابه... فيعتقد أن دينه ضعيف وأن العلم المنحدر على فم النصراني هو علامة الحق فتتزعزع عقيدته الإسلامية إن لم ينتقل إلى النصرانية»[2].

وطبعا عدم التكافؤ هذا لا ينكره حتى الذين يقبلون الحوار، لأن مركز ثقل القوة يأتي من الغرب المسيحي وليس من الشرق الإسلامي ـــ رغم ما في هذا التصنيف من تجاوز ـــ ثم إن المسيحي لما دعا إلى الحوار قد أعد وسائله بينما المسلم ما يزال منشغلا بأمور العيش التي تجاوزها المسيحي، لهذا يقول محمد الغزالي: «إننا نحن أبناء دين قام على الحوار.... ونحن نفتح باب الحوار لا على أن يكون مع أب مدرب وطالب غفل تركناه خرب القلب من العقيدة، بل يستدعى الرجال الذين درسوا ليناقشوا الآباء الذين درسوا»[1].

أي يجب التنبيه على تفاوت المتحاورين خاصة في المرحلة الأولى، هذا التفاوت أو عدم التكافؤ يعانيه المحاور المسلم لكن ليس بسبب عقيدته أبدا وإنما بسبب الضعف الذي يحيط به من كل الجوانب اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا، ثقافيا... وبالتالي حاليا هولا يملك كل المؤهلات (العلمية خاصة) التي تمكنه من خوض الحوار بنفس مستوى ودرجة المسيحي.

- كذلك رفض بعض علماء الإسلام دعوة الكنسية للحوار لأنها كانت مقتصرة على فئة معينة من المسلمين، فئة تشبعت بالثقافة الغربية بكل أبعادها العلمية والحضارية، وفعلا رفض ويرفض بعض المسيحيين التحدث مع الشيوخ

---

(2) أحمد الشرباصي: تعقيب له على محاضرة العكاك بملتقى الفكر الإسلامي السابع، مج3، ص 1178.

(1) محمد الغزالي: تعقيب له بملتقى الفكر الإسلامي السابع، مج 3، ص ص 1191-1192.

العلماء الذين يتمتعون بتكوين ديني محض، لأن الحوار معهم غير مجد ولا يخدم مصالح الكنسية، منهم مثلا الأب هنري تيسيي (أسقف الجزائر حاليا) الذي يقول في مقاله: في سبيل التجديد للحوار الإسلامي المسيحي «غالبا ما نستنتج بأن العلاقات تكون جيدة بين أشخاص لهم ثقافة "إنسانية"* عكس ما تكون بين المسؤولين الدينيين»[2] لهذا يقترح: «أن تتم الأبحاث الإسلامية المسيحية بين مؤمنين أحرارا لهم نفس التكوين الجامعي»[3]. وطبعا هو يعيب على علماء الدين الإسلامي قائلا: «المسلمون الذين حاولوا إدخال مجتمعاتهم في الحوار مع الآخرين، غير مؤيدين من طرف علماء الدين سواء المختصين في التفسير القرآني أو الشريعة الإسلامية وأيضا المسؤولين عن عقيدة المسلمين»[4] .

لكن بعض المسلمين حمد الله على أن لا يدخل علماء الإسلام الذين يمتلكون تكوينا دينيا محضا هذا الحوار قائلا «من حسن حظ الإسلام أن لا يتم حوار بين هؤلاء الشيوخ وبين ممثلي الكنيسة لأن أكثر علماء المسلمين اليوم لا يملكون ـــ مع الأسف ـــ التكوين المنهجي العلمي الضروري لخوض معركة الحوار هذه»[1] وهذا صحيح، وإن كان حدث بعض التطور على مستوى الجامعات الإسلامية من حيث مضمون البرامج لتمكين الطلبة من مختلف مناهج العلوم الإنسانية والدينية، وكذلك تمكينهم من معرفة أغلب وأهم التيارات والمذاهب الفكرية والفلسفية حتى يكون المسلم الناشئ بأعباء الدعوة الإسلامية كفؤا لها.

---

* إنسانية: أي يقصد غربية.

(2) Henri Teissier: Pour un renouveau du dialogue Islamo- Chrétien، Islamo -Christiana, Tom15 Rome, 1989, p 104.

(3) Ibid, p 104.

(4) Ibid, p 99.

(1) حبيب الجنحاني: حركة التبشير والسياسة الاستعمارية، ص 1072.

والذي نخلص إليه أنه لا يوجد تكافؤ بين المتحاورين وبما أن الكفة الأرجح حاليا تميل نحو المحاور المسيحي، فإن المسلم سيكون محاطا بمزالق كثيرة إذا دخل في الحوار، لهذا الأصوب أن يرفضه وإن كان هذا الرفض ليس من منطلق تعصبي وإنما هو مبرر موضوعيا.

إلى جانب هاته الأسباب، لا يجب أن ننسى العائق النفسي والمتمثل في الثقة فالمسلم لا يثق في هذه الدعوة ونواياها، فتراكمات الماضي – خاصة الحروب الصليبية والاستعمار الحديث – التي كان للمبشرين فيها ضلع كبير، تقف حاجزا نفسيا لتقبل الحوار أو الثقة في النوايا الحسنة التي يمكن أن يحملها، والحقيقة أن الطرف المسيحي لا ينكر ذلك من ذلك قول لويس غارديه: «إننا مستعدون لنسيان الماضي، ولكن بأي وجه نطلب ذلك من الشعوب الإفريقية والآسيوية، التي أهينت وبعمق وذلت كرامتها وجرحنا مشاعرها الدينية»[2].

– ثم إن هناك تساؤل يطرح نفسه: هل الدعوة للحوار تفترض القبول أو تقديم دعوة مماثلة؟

الرافضون للحوار يرون أن ذلك ليس ضروريا، لأنه على المستوى العقيدي الإسلام لن يغير من مواقفه نحو القضايا المختلف حولها، وبالتالي ما جدوى الحوار؟

ثم إن هذا الحوار سيعرف ألوانا من المجاملة، التي قد تقود إلى تكييف الطرف المسلم لعقيدته حتى تبدو مقاربة أو مشابهة لعقيدة المسيحي، باعتباره الطرف الأضعف، لكن يجب التنبيه الأضعف اقتصاديا، سياسيا، اجتماعيا...وليس دينيا وهنا مكمن الخطر.

---

(2) Louis gardet: la Foi du chrétiens et les grandes cultures religieuses, Islamo-Christiana, Tome3,Rome, 1977, P 12.

هذا ما ذكره أحمد ديدات عندما سئل عن الحوار والملتقيات التي عقدت هنا وهناك وكان قد حضر جانبا منها باعتباره داعية إسلامي، حيث قال:

«...فهم يعملون لك حفلا بهيجا ويسلمون عليك ويجاملونك بكلمات معسولة تحت شعارات مختلفة، كأن يقولوا: يجب أن نلتقي ونتحدث لمحاربة الشيوعية والمخدرات، لكي يستغلونك وفي نفس الوقت يسرقون أطفالك، هذا كله يحدث في كل اللقاءات السابقة بين المسلمين والنصارى، والنتيجة، المخادعة والتضليل لهذه الملتقيات ونحن الضحية لأننا لا نحدثهم بما يريده الله، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ هذا شرط اللقاء والتحادث مع النصارى عن العبودية لله وحده»[1] لكن ديدات يرى أننا لا نحترم الشرط الذي سنه الله تعالى، ونجاملهم من منطلق عدم التكافؤ بيننا ولا نقول الحق حتى في مسألة التوحيد، فمن ضعفنا في رأيه «إن هذا فيه إحراج لهم، وهم يقولون إننا نعبد إلها واحدا، ولكن الله تعالى أخبرنا أنهم يعبدون ثلاثا...فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى ولكنهم يستغلوننا ويريدوننا أن نتحدث عن دور المرأة في المجتمع وما إلى ذلك من المواضيع...»[2].

وعموما فإن الموقف الرافض للحوار، إنما يرفضه لانعكساته السلبية على المسلمين، ولعدم التزام الطرف المسيحي بالقرارات المتفق عليها، وأخطر ما في الأمر أن يكيف المسلم المغلوب عقيدته بحيث تتلاءم مع العقائد المسيحية.

وإن هذا الإشكال الأخير أثير وعرف ردود أفعال عديدة وحادة فبالنسبة للتعاطف مع المسيحيين فهو ليس بجديد ولا موضع اعتراض، أما أن تكيف العقائد

---

[1] أحمد ديدات: بين الإنجيل والقرآن، دار الهدى، ص 12-13.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

الإسلامية فهذا ما لا يقبله المسلمون الذين يرون في موقف الكنيسة الجديد، اعترافا ضمنيا بصحة الإسلام.

كذلك أن تكيف العقائد الإسلامية وتصبح ملائمة للمسيحية فهذا تحريف وكفر وإن كان الموقف المسيحي يرى في هذا تصلبا لا غير. ومع ذلك نجد من بين الذين يريدون دفع الحوار إلى الأمام يقدمون ما يشبه هذا الطرح فالتونسي على مراد يؤكد في مقاله "من أجل البحث عن كلام مشترك" أن من عوائق الحوار مثلا، أن المسيح المذكور في القرآن مختلف وليس له أي علاقة مع مسيح الإنجيل حسب الرؤية المسيحية، «وهذا سلوك غير مشجع من وجهة نظر الحوار الإسلامي المسيحي، لأن ذلك يستلزم أن المسيحيين يمكن أن يشعروا بأنهم غير معنيين بالدعوات القرآنية، ومهما كانت مصادر التفسير أو دقة التفكير اللاهوتي فإننا نسجل الفرضية التالية إذا كان المسيح في قلب المسيحية، فهو كذلك في قلب التساؤلات القرآنية الموجهة للمسيحيين كما لا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن التعاليم القرآنية بشأن هذا الموضوع ستستمر طويلا في بناء وتشكيل النظرة الإسلامية للمسيحية»[1].

بل إن علي مراد كان أكثر صراحة وجرأة في تساؤله «هل إنسانية عيسى في القرآن مطلقة؟ وإنكار ألوهيته هل هو متأصل؟ ألم يعرف بأنه "كلمة الله" 55/3 "وكلمته وروح منه" 71/3 وملاحظة مماثلة فيما يخص التجسد تتجه بطريقة ما إلى التصورات القرآنية حول المسيح "كلمة الله ألقاها إلى مريم..."فرفض كون الله تجسد في هذا الإنسان، في هذا الإنسان عيسى الناصري أليس هذا ببساطة وقبل كل شيء ضد الإحساس الذي يجعل من الإنسان مولى وإلها أو النظر إلى الله

---

[1]Ali Merad: Dialogue Islamo-Chrétien: Pour la recherche d'un Langague Commun, p 5.

كإنسان»[2]، وما يفهم من هذه الإيحاءات أن القرآن لم يقدم ـــ إذا لم نقل لا يمتلك ـــ حقيقة مطلقة عن المسيح، وهذا نموذج من الانزلاقات المحتملة التي حذر منها الرافضون للحوار.

فهذه الإيحاءات المذكورة قد تؤدي إلى تشويه العقيدة وهذا يقودنا للحديث عن الفئة المشجعة للحوار والتعرف على أسباب هذا التشجيع.

ب ـ المسلمون المؤيدون للحوار:

كما سبق ذكره فقد وجد المؤيدون للحوار، وهنا نسجل دعوة الأزهر المماثلة، حيث استدعت الكاردينال " فرانز كونغ" ممثلا عن الكنسية الكاثوليكية وتحدث أمام علمائها وأهمية الأزهر في العالم الإسلامي لا تحتاج إلى تنويه المهم كانت المرة الأولى التي تستقبل فيها جامعة الأزهر شخصية دينية مسيحية ويعلق محمد الطالبي على هذا الحدث بقوله: «ولقد تحدث الكاردينال "فرانز كونغ" وهو من "فيانة" عن التوحيد... أمام ألفي طالب وأساتذتهم، ولقد استطاع بدون شك أن يساهم في التقريب بين القلوب وإبعاد كثير من سوء التفاهم وكان الإقبال على محاضرته يفيد ما يفيد وما وسع الشيخ حسن مأمون إلا أن ختم بذكر الآية **﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾** المائدة 82»[1]، وبعد هذه المبادرة الأزهرية تبعتها

---

[2] Ibid, p p 6-7.

[1] محمد الطالبي، الإسلام والحوار، ص 19.

لقاءات عديدة أخرى على أعلى مستوى أي بين الفاتيكان والمملكة العربية السعودية(*).

والملاحظ أن كل ملتقى (**)كان يعد موضوعات للدراسة من طرف المشاركين وكل مرة يسجل تطورا وجرأة في طرح القضايا الجوهرية والابتعاد عن القضايا الهامشية أي كل ما قطع الحوار أشواطا، كلما تضاءلت الصعوبات وعموما الفئة المؤيدة للحوار لا تنكر العوائق والتحفظات المذكورة سابقا ولكنها ترى ضرورة الحوار وذلك لأسباب عديدة منها:

(*) مثلا مهرجان الجنادرية في المملكة سنة 1996، حيث استضاف المستشرق صموئيل هنتجنتون وكان الحوار معه حول كتابه حوار الحضارات ، ثم استضاف المهرجان سنة 97 ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز وهو من المهتمين بالحوار الديني بين الإسلام والمسيحية.

(**) هذه أهم الملتقيات التي أنعقدت:

- 1974: مؤتمر عالمي للحوار الإسلامي المسيحي بقرطبة وآخر بنفس المكان 1977.
- 1974: ملتقى عالمي بتونس دار حول مشكلات التطور.
- 1976: ملتقى عالمي في طرابلس ناقش الأسس النظرية للديانتين والميادين المختلفة للقاءاتها.
- 1976: بسويسرا مؤتمر الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية.
- 1977: بالنمسا مؤتمر قضايا الإله في الإسلام والمسيحية.
- 1978: بالنمسا حلقة مناقشة الكنيسة والمسلمون في أوربا.
- 1979: ملتقى عالمي في تونس دار حول الوحي والعقل والعلم.
- 1979: ملتقى تحت عنوان الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر.
- 1984: ملتقى كبير بالقدس ضم مسيحيين ومسلمين.
- 1985: ملتقى بروما تحت عنوان القداسة في الإسلام والمسيحية.

- عدم جدوى الصراع والجدل فكثير من المسلمين اليوم تراجعوا عن منهج الجدل والمناظرة بل بدأوا «يقتنعون بعدم جدوى الجدل وبأن الخطاب في حد ذاته لا يؤدي إلى الإيمان بالإسلام ولا بغيره، ما لم تعضده ظروف موضوعية تؤهل المتقبل لتغيير رأيه وأدى هذا الاقتناع بدوره إلى اعتبار واجب المسلم متمثلا في توضيح ما يؤمن به هو وإن طلب منه ذلك، وفي التعبير عن الأسباب التي تدعوه إلى عدم مشاركة الطرف المقابل معتقداته في كنف الاحترام ودون دحضها بل مع الاستعداد النفساني على قبول ما هو إيجابي فيها أو في أثارها الأخلاقية»[1].

إذا الانفتاح على الآخر وعلى عقيدته هو الطرح السائد الآن في عصر لا ينفع فبه الانغلاق على الذات مع ثورة الإعلام والاتصال.

-كذلك الحوار عملية مفروضة على المجتمع المسلم وبالتالي يجب أن يدخلها برضى وقبول، فالعالم أصبح قرية، والغزو الثقافي والتبادلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تفرض نفسها، ولا مجال للمجتمعات المغلقة بما فيها الأديان، لأنه «إذا انكمش دين من الأديان على نفسه، في عالم الرفض الذي هو عالمنا، فكأنه تناول نصيبا من المخدرات ليموت في هدوء»[2].

إذا الحوار بالنسبة للإسلام أكثر من ضروري لأنه «مبدئيا اتصال بالعالم من جديد، اتصال ضروري وحيوي والإسلام في حاجة إليه آكد، والنفع الذي يعود عليه منه أكبر من بقية الديانات الأخرى، كالدين المسيحي لم يقطع قط هذا

---

[1] عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 18.

[2] محمد الطالبي: الإسلام والحوار: ترجمة الرشيد الفزي إسلاميات مسيحيات، المعهد البابوي للدراسات العربية، بروما العدد 4، 1978، ص 18.

الاتصال قطعا حقيقيا، فيكون له بذلك اليوم مكانة ممتازة نسبيا، والحوار من ناحية أخرى بالنسبة للإسلام هو عودة إلى سنة من سننه الشرعية»[3].

وكما نلاحظ وعلى عكس الرؤية الرافضة للحوار، هذا الموقف يعتبر الحوار خطوة في مصلحة الإسلام، ويشجعها من منطلق شرعي أيضا، وإنها ليست بالمفارقة، ولكن لكل موقف مبرراته.

- كذلك تراجع الكنيسة عن صمتها وتعنتها اتجاه الإسلام، يعد خطوة محفزة للمضي في الحوار وتشجيعه، بل إن تراجع الفكر المسيحي عن بعض المعتقدات بعدم مناقشتها وتقديسها كما في الماضي، هو أمر فرضه تطور الفكر الغربي الذي انطلق مع حركة الإصلاح الديني (لوثر) والنهضة وفلسفة التنوير، ثم بروز العلمانية التي قوضت الكثير من أركان المسيحية. فالملاحظ «أن الفكر اللآهوتي المسيحي ما ينفك يتطور وأن من العبث مناقشة القول بالأقانيم والأشخاص كما أنها ما زالت تحتل في واقع ذلك الفكر نفس المكانة التي كانت لها في القديم، إذ هناك تهميش ملموس للتثليث واحتفاظ به كتعبير "أدبي" تاريخي لا يدل على حقيقة ما يعتقده النصارى، مثلما أن عقيدة التجسد الإلهي في عيسى وأخبار ولادته البتولية، وقيامه من بين الأموات وصعوده إلى السماء تواجه صعوبات جمة في فرض نفسها على عقول مسيحي القرن العشرين»[1].

-وليس من الضروري أن يجد العقل المسلم الحرج الذي عاشه ويعيشه المسيحي من جراء عقائد غير متناسقة مع منطق العقل والعلم – وإن كان للدين منطقا آخر أيضا – لكن الذي لا يجب إنكاره أن المسلم اليوم يتعرض لنفس تحديات المسيحية

---

(3) المرجع نفسه، ص ص 1- 2.

(1) عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1968، ص ص 526- 527 (من الخاتمة).

بالرغم أنه لم يعش ظروفها ولا سياقها التاريخي، لكن كما سبق ذكره العالم أصبح قرية ومن غير المجدي التقوقع على الذات، فالآخر يصلنا عبر أكثر من قناة.

إن المجتمع الإسلامي خاصة بعد موجات التحرر من الاستعمار الحديث عرف أوضاعا جديدة على كل المستويات الاجتماعية من ذلك «تقلص الضغط الاجتماعي على الأفراد، و لم تعد البنى التقليدية تؤدي دورها في تلقين الأجيال الصاعدة قيما ثابتة تشترك فيها مختلف الخلايا المجموعة، فلا الأسرة ولا المدرسة ولا هندسة البيوت والأحياء والمدن، ولا التجمعات المهنية ولا الأنظمة السياسية استطاعت المحافظة على الوظائف التي كانت تشغلها من قبل. وليس تبني قيم الحداثة أهون تلك العوامل الموضوعية، فالمساواة وحقوق المواطنة وحرية الضمير والمعتقد، من المبادىء التي أخذت تشق طريقها بثبات نحو الاستيطان في الضمير الإسلامي الحديث»[1]. وهذا صحيح إلى أبعد الحدود فالردة منتشرة بكل مظاهرها، كالدعوة إلى العلمانية، إلى قيم الحداثة والأكثر من ذلك الإعلان عن الإلحاد والتنصل من الإسلام علنا ودون مراعاة للمشاعر الإسلامية.

ثم إن العقلية الإسلامية تشهد تفتحا لا سبيل إلى إنكاره الدليل على ذلك جمعيات الشباب التي تضم شبابا بقناعات وأديان مختلفة، لكنها تتفق حول هدف يمكنها من العمل المشترك، وبالتالي سوف يكون الخطاب الإسلامي سخيفا إذا بقي يردد الأدبيات الكلاسيكية، والتي ترى أن الإسلام بعيد عن أي تأثير خارجي وأن له حصانته الداخلية، أولا يجب أن يتعامل مع الآخر حتى لا يتعرض للذوبان.

إن القوى الاجتماعية المعاصرة قلبت الكثير من المفاهيم والقناعات الإسلامية بدليل التنافر الموجود على الساحة الإسلامية بين أنصار الأصالة والمعاصرة مثلا

---

[1] المرجع نفسه، ص 525.

وبين أنصار التعليم الديني من جهة والتعليم العلماني من جهة أخرى وهذا قليل من كثير من مؤيدات الحوار الإسلامي المسيحي.

هكذا نجد هذا الموقف يشجع عملية الحوار مع وعيه بالعوائق والتحديات وبما أن الحوار انطلق وتعزز على أعلى المستويات، نحاول أخيرا أن نقف على بعض النتائج والتي لمسها المتحاورون أنفسهم.

نتائج مبدئية للحوار:

أظهر الواقع العملي نتائج عديدة لعملية الحوار على المستويين المسيحي والإسلامي، كإنشاء أماكن العبادة، نشر مؤلفات تنصف الإسلام...لكن نظرا للزخم الموجود على الصعيد الإسلامي فربما احتاج المسلمون إلى حوار داخلي قبل الشروع في الحوار مع الغير، وهذا ما أشار إليه عبد الوهاب بوهدية والذي أشرف على الملتقى العالمي بتونس حيث خرج بهاته الملاحظة قائلا:

«لاحظت من ملتقياتنا، أن النقاش كان دائما حارا يمتاز بالفضول وأكثر حيوية بين المسلمين منه بين رفقائهم المسيحيين، فأن يكون في عمق كل دين اختلافات وحساسيات فهذا أمر أكثر من طبيعي. لكن يوجد بالنظر إلى بعض الأمور ما هو أخطر، فالصعوبات وجدت طريقها، والحقيقة أن كل شيء يمر وكان الحوار الإسلامي – الإسلامي كان أكثر صعوبة وبالتالي أكثر أهمية من الحوار الإسلامي المسيحي»[1].

وهذا الطرح لم يكن متوقعا ولكن أفرزته أحداث الحوار خاصة التي كانت تتم على هامش أعمال الملتقى أو كما يقال في "الكواليس" فقد كان المسلمون يتحاورون ويطرحون مشاكلهم، وبدا الاختلاف بينهم واضحا، وربما أعمق منه

---

(1) Abdel Wahab Bouhdiba: L'avenir du dialogue Islamo – Chrétien Tom6, 1980, p 91.

كما هو بين المسيحيين نظرا للظروف التي يعيشها المسلمون حاليا، والأهم من الاختلاف والتناقض هو فرصة اللقاء نفسها، والتي كشفت عن أمور كانت غير ظاهرة أو مكبوتة لهذا يستنتج بوهدبية أثر الصدمة قائلا: «والصدمة الناتجة عن الالتقاء بالآخر أنه يوحي من أنا، فأنا أظهر من خلال نظرة الآخر»[2].

المهم أن الحوار مع المسيحيين أبرز الاختلاف والتفرق الظاهر بين المسلمين والذي لا يعد سلبيا في ذاته، فالاختلاف رحمة، لكن المشكل الذي طرح: الذهنية الإسلامية المشبعة بالثقافة الغربية من جهة وبالثقافة الإسلامية من جهة أخرى والتي قد تتفق في الهدف لكن تختلف تأكيدا حول تحديد الوسائل والرؤى «فالتكوين المزدوج المتضاعف والعصري للنخبة يعتبر مصدرا للكثير من الاختلافات، لأن هذا التكوين يدفع لمنافسة غير منتظرة بين "الحائزين على المصداقية وهم "أنصار الأصالة" والمتمسكين بالحداثة"»[3]، وهذا له انعكساته على الحوار حسب المعطيات التي ترجح كفة الأصالة أو الحداثة أو الاثنين معا.وعموما إن النتائج أكثر من أن تعد وتحصى.

الخـاتـمـة:

أخيرا يمكن القول رغم رفض الحوار بين الأديان من طرف بعض المسلمين إلا أن الكفة مالت في النهاية إلى نصرة هاته الخطوة رغم مخاطرها، فخوض التجربة أفضل من الامتناع وخوضها يعني بذل جهد لنفض الغبار عن الذات الإسلامية لاستعادة حيويتها ومكانتها بدل الرفض والابتعاد، وكما قال أحد المشجعين: «فإننا لا نستطيع اللجوء إلى القعود أو الكتمان، أي لا نستطيع الانغماس في دفء لا مبالاة لذيذة نترقب حلول نوع من المعجزة السحرية ترجع للإسلام مكانته في

---

(2) Ibid, p 91
(3) Ibid, p 92.

صلب التاريخ بلا عناء ولا تعب وقد أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**»[1].

كذلك إن الموقف المسيحي يثمن المجهودات الإسلامية التي تدفع بالحوار قدما، ويعي جيدا التضحيات المبذولة لنسيان أعباء وأحقاد الماضي ويحاول بالمقابل إعادة فهم الإسلام، وكما يقول أغنالديز: «يجب البدء بالاهتمام بالإسلام بالقلب حتما ولكن ليس وحده ... يجب دراسة اللغة العربية، تفاسير القرآن وباختصار التجربة الدينية الإسلامية بجدية واكتشافها من خلال مصادرها ومقولاتها الأكثر قيمة وإجماعا في نفس الوقت»[2].

وعموما الحوار منطلق فعلا وله أنصاره المخلصون، أصحاب الأهداف النبيلة كذلك هناك من يتخفى وراءه لتحقيق أهداف رذيلة، الأمر الذي جعل البعض يرفضه جملة وتفصيلا تفاديا لكل لبس ... لكن تبقى القناعات الفكرية العقدية هي مرجعية كل قرار وتصرف يصدر عن المسيحي أو المسلم والذي يقصد من ورائه إثارة الحساسية الدينية أو تهذيبها والسمو بها نحو التسامح والتقارب، وهذا ما يرجوه كل مؤمن مخلص لإيمانه، لأن التعصب الديني الأعمى لا أحد يأمن عواقبه الوخيمة حتى بين أبناء الدين الواحد، فما بالك بين ديانتين مختلفتين، لهذا يبقى الحوار من سبل التسامح، إذا كان حوارا حقيقيا مترها عن كل تمويه وغش.

كما يبقى قدر الإسلام أن يكون جسرا بين الشرق والغرب.

---

(1) Ibid p 91.

(2) Roger arnaldez dialogue Islamo- Chrètien et sensibilite religieuses TOM 1, 1975, p. 23.